أصوات عراقية

من أجل الحرية

المقتطفات التالية مأخوذة من مقابلات أجريت في أواخر العام المنصرم، 2002، مع عراقيين يعيشون الآن خارج سيطرة حكم صدام حسين الوحشي. وتمثل هذه مجرد بضعة أصوات من ملايين العراقيين الذين أخمد الطاغية آمالهم في مستقبل أفضل.

أحمد الركابي

يتذكر أحمد الركابي، مراسل إذاعة العراق الحر المقيم في لندن، المقابلة التي أجراها مع ضابط مخابرات عراقي سابق تلقي الضوء على الطبيعة الأساسية لنظام صدام حسين.

"أود أن أُقابل رئيس العراق القادم وأن أطرح عليه أسئلة مشاكسة دون أن أخاف على حياتي".
أحمد الركابي

"وصف لي كيف قررت مديرية الأمن العراقية الخاصة إعدام 2000 شخص في يوم واحد. كانوا يريدون تطهير السجن، وقبل تنفيذ عمليات الإعدام بيوم، أعطى ابن صدام حسين، قصيّ، الأوامر - وكان هو شخصياً عضواً في الفريق الذي أشرف على عمليات الإعدام. أخبرني كيف أعدموا الناس. بدأوا عند السادسة صباحاً وانتهوا عند التاسعة مساءً. سألته: "إنه لأمر رهيب أن يشاهد الإنسان إعداماً واحداً، فكيف استطعت أنت رؤية إعدام 2000 شخص في يوم واحد؟" هذه الحادثة على بشاعتها هي واحدة فقط من الروايات العديدة عن الناس الذين فقدوا في البحار وتحت قطارات السكك الحديدية، وفي الطقس البارد في الجبال وهم يحاولون الهرب من نظام الحكم."

أجبرت عائلة الركابي على الرحيل إلى المنفى عندما جاء حزب البعث إلى الحكم سنة 1968. "كان من الصعب جداً أن لا يكون عندنا وطن أو أن يكون لنا وطن لا يمكننا زيارته دون أن نعرّض حياتنا للخطر". سعت عائلته إلى اللجوء إلى سبعة بلدان مختلفة، ولم يعرف الركابي أبداً مواساة ذويه الأقربين. "كان من الصعب جداً الذهاب إلى المدرسة وسماع الأطفال يتحدثون عن تجاربهم مع جداتهم أو كيف أمضوا عطلتهم. لقد ذهبت إلى حدّ توجيه اللوم لأبوي لعدم وجود صور لهؤلاء الأقارب... كنت أشعر دائماً أن ثمة شيئا ما ينقصني. كان الجميع يعاملونك ويرونك كعراقي، وكنت أفاخر بأني عراقي، ولم يكن بوسعي، في الوقت نفسه، أن أعيش في العراق."

"عندما نتحدث الآن مع العراقيين الآخرين في المنفى، نتحدث معظم الأحيان عن المستقبل. لا نسهب كثيراً في التحدث عن التعذيب داخل العراق لأنه أمر معروف جداً. ما يهمنا هو المستقبل - كيف نغيّر الوضع الحالي، كيف نعيد بناء بلدنا. نتحدث عن حلمنا في عراق ديمقراطي يمكن فيه للمرء أن يسافر ويكتب ويعبر عن رأيه حول الحكومة أو أي موضوع آخر. وأود، كصحفي، أن أقابل رئيس العراق القادم وأن أطرح عليه أسئلة مشاكسة دون أن أخاف على حياتي."

"إني أرى الصحافة حارسا للديمقراطية. نحن بحاجة لأن نرى الصحافة تكشف الأخطاء وتقدم أفكاراً جديدة وتساعد على سماع أصواتنا".

سيّد عبد المجيد الخوئي

يتحدث السيد عبد المجيد الخوئي عن مدى وحشية النظام، إذ يقول: "أعمال النظام الإجرامية، ابتداءً من سنة 1968، لم تتوقف أبداً. فالإعدامات، وإقفال المدارس، والمساجد، والمزارات المقدسة لدى المصلين الشيعة، وإحراق الكتب الدينية القديمة، ونهب الهدايا التي قدمها الرؤساء والملوك إلى الأماكن المقدسة. "لقد اقتيد العالم الجليل مرتضى الخلخالي إلى السجن مع أبنه وثلاثة من أحفاده. تم احتجاز ثلاثة أجيال ولا أحد يعرف شيئاً عن مصيرهم ... وفقدت مئات العائلات أحبتها. فقدت عائلة الحكيم 17 عالماً ذهبوا ضحية الإعدام وفقدت عائلة بحر العلوم 22 فرداً". وهو يعتقد أن ثمة عائلات لم يعد فيها أحد من الذكور لحمل إسم العائلة. يعمل السيد الخوئي، الذي يعيش بصورة مؤقتة في لندن، على المحافظة على سلامة الروح الدينية التي يعمل صدام حسين على تدميرها. وهو منزعج جداً من استغلال

صدام حسين للإسلام. "لقد أساء صدام حسين استخدام النصوص القرآنية وأساء إستغلالها لتغطية وحماية أفعاله. فقد استند في عملية غزوه (للكويت)، البلد الجار المسلم الشقيق، على هذه التفسيرات الشخصية ... ليس بالإمكان اعتبار صدام حسين مسلما سنيا متغطرسا يضّطهد الشيعة فقط. لقد هاجم العرب والأكراد والسنة والشيعة والتركمان وغيرهم. فهو بلا رحمة حتى بالنسبة لأقرب المقربين اليه ... حاول صدام إشعال نار الكراهية بيننا في الوقت الذي يعرف جميع العراقيين أنٍ صدام لا يؤمن بأي دين."

"عندما كنت صبياً في بيت أبي في العراق، كنت ألتقي العلماء السنّة أكثر مما كنت ألتقي العلماء الشيعة. وكنا نتبادل الزيارات مع العلماء الأكراد من شمال العراق، وننظم مجموعات نقاش يشارك فيها المسلمون والمسيحيون. العراقيون شعب مُتَمدّن يُحبّ السلام وفي إعتقادي أنهم سوف يعرفون كيف يسدون الفجوات التي اصطنعها نظام الحكم بينهم." يجب أن يستعيد العراقيون حرية ممارسة معتقداتهم."

عبّاس البياتي

يعتقد عباس البياتي بشدة أن المجتمع العراقي بحاجة إلى حوار وطني يقود إلى الإعتراف المتبادل بجميع شعوب العراق. "فبدون الإعتراف بالشعوب السنية والشيعية والكردية والتركمانية، والعربية، والآشورية، وبدون هذا الإعتراف، لن يكون هناك تعايش سلمي، بل مجتمع قسري جامد. لقد خلق النظام طيلة عقود من الزمن الإنقسامات الإثنية بين العراقيين."

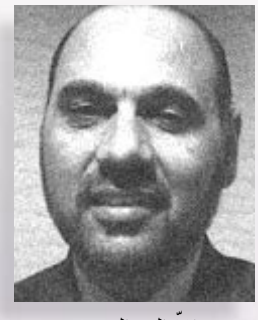

ويعرف البياتي، بصفته تركمانياً، أن تلك الإنقسامات لا تؤدي إلاّ إلى التسبب في وقوع الضحايا. ويضيف قائلاً إن النظام يحاول "تذويب الهوية التركمانية لإجبار الناس على التنازل عن هويتهم. فلا يحق لأي تركماني شغل وظيفة رسمية في كركوك ما لم يتنازل عن هويته الإثنية، ويدعي أن هويته عربية. لقد جرى طرد أو إعدام عشرات الآلاف من التركمان السنة والشيعة، ولا يحق للمواطنين المتحدرين من أصل تركماني دخول الأكاديميات العسكرية أو أكاديميات الشرطة أو الخدمة كسفراء أو في أي مؤسسة أخرى للدولة."

"نريد قوات شرطة تحترم وتنصاع للقانون."
عبّاس البياتي

ويرى البياتي الحاجة إلى إصلاحات أساسية أخرى في العراق الجديد. "نريد قوات شرطة تحترم وتنصاع للقانون. فقد أصبحت هذه القوات هراوة في أيدي النظام بدلاً من أن تكون أداة لمحاربة الجريمة والإرهاب. وسوف تحتاج أكاديميات تعليم الشرطة إلى تطوير التدريب الثقافي والتعليمي، لأجل فهم مسؤولياتها تجاه المجتمع. كل هذا يتطلب تغييراً، تغير العقلية بحيث يفهم رجال الشرطة أنهم على نفس مستوى الشعب، وأن القانون فقط هو فوقهم". فلا يجب أن يخشى أي مواطن مؤسسات الحكومة إذا كانت لها صفة تمثيلية حقة.

سيّد مصطفى القزويني

كان السيد مصطفى القزويني طفلاً سنة 1968 عندما حاول النظام لأول مرة إقناع والده وجدّه بتأييد حزب البعث. "رفضا، وبسبب مشاركتهما السياسية في نشاطات ضد النظام، حكم على والدي بالإعدام." هربت العائلة إلى الكويت باستثناء جد السيد قزويني الذي كان يبلغ من العمر ثمانين عاماً. أوقف العالم الجليل في داره في كربلاء سنة 1980. "جاءت الشرطة السرية إلى منزل والدي بعد منتصف الليل. قرعوا الباب، ثم اقتحموا المنزل بالقوة. كان ينزف حين أخذوه معهم، حسب رواية الجيران الذين شاهدوا الحادث. وكانت آخر مرة وصلتنا أخباره سنة 1982، قبل عشرين سنة."

جاء مصطفى القزويني إلى الولايات المتحدة حين كان عمره 33 سنة، ويدير حالياً المركز التربوي الإسلامي في مقاطعة أورانج بكاليفورنيا. "سمعت أناساً يقولون إن أي عمل ضد العراق هو حرب ضد الإسلام، لكن ذلك غير صحيح أبداً. أعتقد أن صدام حسين هو مصدر الحرب الرئيسي في المنطقة. إنه في الواقع، يدعو إلى الحرب بسبب أعماله الشريرة. هناك، مع الأسف، أناس لديهم معايير مزدوجة. فهم لا يقرّون بالواقع. يتحدثون عن الإستبداد والدكتاتورية والسيطرة لكنهم ينسون وجود طاغية في باحتهم الخلفية دمّر بلداً بكامله ... وتلطخت يداه بدماء الملايين. غير أن لديّ أملا بقيام عراق جديد، عراق قائم على إحترام حقوق الإنسان والديمقراطية، وعراق يمكنه التأثير على الأوضاع في أماكن أخرى."

ويتطلع مصطفى القزويني إلى عراق يستعيد مكانته في العالم. "إني أؤمن بالتعاون مع المجتمع الدولي، مع الولايات المتحدة وأوروبا والدول الأخرى. لدينا مصالح مشتركة مع الآخرين، وعلينا أن نعمل مع الآخرين. في أيامنا هذه وفي هذا العالم الذي نعيش فيه، علينا العمل مع كل البلدان ومع كل القوميات." يجب أن تتوفر للشعب العراقي الحرية والإستقلالية لمناقشة وتحديد أولوياته القومية.

صَفّية طالب السُهيل

اكتسبت صَفّية طالب السُهيل، من خلال المأساة، العزم على التحدث جهاراً عن وحشية صدام حسين. "سنة 1994، سافر قاتل مأجور إلى بيروت بأمر من بغداد، ودخل، بالتعاون مع دبلوماسيين عراقيين، بيتنا وأطلق النار على والدي أمام باب المنزل." كان والد صَفّية السُهيل مواطناً عراقياً ديمقراطياً، زعيم قبيلة بني تميم المحترمة، ووالد لثمانية أولاد. "لقد آلمنا ذلك جميعاً، والدتي وشقيقاتي وباقي أفراد العائلة، وقبيلتي. كان والدي الشخص الذي نتطلع إليه مثلا، وبسبب عيشنا في الخارج، فقد كان معيلنا الوحيد. مقتله جعلنا أشد عزماً على البقاء على الطريق نفسه الذي سلكه والدي - وهو تحرير الشعب العراقي من الإضطهاد والفساد الذي عانى منه الشعب العراقي طيلة أكثر من ثلاثين سنة."

ويهمّ صَفّية طالب السُهيل حالياً بنوع خاص، بصفتها مديرة قسم الدعوة للعالم العربي والإسلامي في منظمة ضمن التحالف الدولي للعدالة، أن يفهم الآخرون العبء الذي يشكله النظام على حياة النساء العراقيات. "تشكل النساء أكثر من نصف المجتمع العراقي. ليس النصف، بل أكثر من نصفه. فقد دخل العراق في حربين مُدمّرتين كانت فيها للرجل العراقي حصة الأسد من الخسائر الجسدية، أما حصة المعاناة الأعظم فكانت حقاً من نصيب المرأة العراقية. لقد فقدت الأب والزوج والولد وأكثر. إن لدى النظام العراقي موظفين مهمتهم اغتصاب النساء. هل يمكنكم تصور ذلك؟ هل من وظيفة مماثلة في العالم؟ إنها موجودة في العراق. إنها أداة لمنع الرجال من أن يكونوا وطنيين في بلدهم." تقول السيدة صَفّية السُهيل إن النساء والأطفال شاهدوا مناظر مروعة لا يمكن أن تتلاشى إلا بمرور الزمن وباستتباب الأمن. ينبغي أن تتحرر النساء العراقيات من الأعباء الثقيلة التي حملنها طيلة عقود من الزمن.

صديق الموسوي

كاد صديق الموسوي أن يُعدم على يد النظام، لكن الذي احتجزه ارتكب خطأ لدى قراءته الأوامر الرسمية، وبدلاً من تنفيذ حكم الإعدام به أجبره هذا الأخير على مغادرة البلاد. "في ليلة داكنة سوداء، تم طردي برفقة ثلاثة آخرين. تركنا رجال الشرطة العراقيون في الصحراء بين جيشين." وخرج الموسوي من هذا الكابوس ليصبح رجل أعمال ناجحاً.

"أود الآن العودة، لا مسلحاً لقتل أي كان، بل مسلحا بقلم في يدي لأصل به إلى عقول العراقيين ولأعلمهم أين أصبح العالم على الصعد التكنولوجية والاقتصادية والسياسية. فالعراق، بفضل ما لديه من ثروات وكفاءات، بوسعه أن يصبح يابان الشرق الأوسط."

ويضيف الموسوي: "لا أريد أن يتذكر الناس الدولة العراقية فقط على أساس أسلحتها الفتاكة وعدوانها أو علاقاتها بالإرهاب، بل على أساس خبراتها وقوتها كوسيط في كل كفاحات العالم."

"أود رؤية دولة ليبرالية، ديمقراطية، فدرالية، وآمل شخصياً، أن تكون مملكة دستورية. وأود، في الوقت نفسه، أن أرى مرحلة إنتقالية يستطيع الشعب العراقي خلالها استعادة عافيته.

> "أود العودة، لا مسلحاً لقتل أي كان، بل مسلحا بقلم في يدي لأصل به إلى عقول العراقيين ولأعلمهم أين أصبح العالم على الصعد التكنولوجية والاقتصادية والسياسية."
>
> صديق الموسوي

هذه المرحلة سوف تقودها حكومة أراها مكوّنة نصفها من الخبراء الاقتصاديين والنصف الآخر من السياسيين، تسير بالبلاد نحو إستعادة شاملة لعافيتها الاقتصادية." أولى الأولويات التي يراها الموسوي ستكون رفع العقوبات الاقتصادية والتوصل إلى اتفاق مع منظمة الدول المصّدرة للنفط (أوبيك) يسمح للعراق بمعاودة بيع نفطه قانونيا." وفي حين نبني على أسس الازدهار الاقتصادي، سوف ننتقل إلى إستعادة العافية السياسية. وأول ما ينبغي عمله في هذا المجال هو إعطاء الشعب العراقي فرصة اختيار نوع الحكم الذي يريده ليسير بالعراق إلى شاطئ الأمان، والأمن، والحرية، والإزدهار." ينبغي أن يكون المجتمع العراقي حراً كي يطور كامل طاقاته الكامنة.

فوزي كريم

شعر فوزي كريم باكراً بالظلال التي تلوح في الأفق والتي سيلقيها النظام البعثي على الحياة الفكرية للعراق. ويشرح، بصفته شاعراً، أن فنّه نما في بيئة الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي التي كان يومها العراق حراً. "لقد جاء صدام ودمّر كل ذلك. فهو كان يعلم أن نظامه لن يدوم في بيئة من هذا النوع، فكان أول ما قام به هو قتل كل معالم الحرية في العراق. كان المثقفون العراقيون، كغيرهم في العديد من البلدان، أول من ثار وغادر إلى المنفى بعد وصول صدام حسين إلى السلطة. غادرت العراق سنة 1968، وفي العام التالي، تبعني العديد من الشعراء والكتّاب والمثقفين العراقيين الآخرين. إحدى الأمور التي نتناقش حولها نحن معشر المثقفين العراقيين عندما نجتمع في دورات غير رسمية هي أنه ليس في العراق سجون جسدية وحسب. بل هناك أيضاً احتلال عقلي وفكري تجذّر في العراق خلال العقود الأخيرة."

ترك فوزي كريم حزنه جانباً ليركز نظره نحو المستقبل. "بوسعي أن أقول لك، بفضل التجارب الشخصية لآلاف العراقيين أمثالي الموجودين في المنفى، وبفضل معرفتهم المباشرة بالعالم الخارجي، بأني على ثقة بأن العراق تمكن إعادة بنائه - عراق يحترم الإنسان من جديد. يقول بعض الناس إن العراق - البلد العربي والإسلامي - لا يمكن أن يكون ديمقراطياً. ليسمحوا لي أن أخالفهم الرأي! فهناك الكثير في تاريخ العراق والإسلام ما يُبيّن أن العراق يمكن أن يكون ديمقراطياً وتعددياً - فكرة الحاكم المنصف، مثلاً. ثقتنا كبيرة بالمستقبل، ونشعر أن هذا الليل الطويل يشرف على نهايته. يوجد الآن في المنفى أربعة ملايين عراقي، ستون بالمئة منهم من الشبان المتعلمين الراغبين في العودة وفي إعادة بناء هذا البلد لجميع العراقيين، وليس فقط للقلة من أعضاء الحزب أو المقربين من النظام." ينبغي أن يكون العراقيون أحراراً في استكشاف الأفكار الجديدة، والتعبير عنها، وتبادلها.

حسين سنجاري

ترعرع حسين سنجاري في منطقة غنيّة بالتنوع الإثني. "تعلّمت التسامح في جبال سنجار، شمالي غربي نينوى. كان يسكن قريتنا الأكراد والعرب والآشوريون وشعوب أخرى. كان عندنا مسجدان وثلاث كنائس."

سنة 1974، أبعد النظام عائلة سنجاري وغيرها من المنطقة. "صادروا أملاكنا ولم يعد بإمكاننا العودة إلى هناك. بعد وفاة والدي قبل عام، لم نتمكن حتى من دفنه إلى جانب أجداده."

خرج حسين سنجاري من العذابات والحروب التي شنّها النظام ليرأس المعهد العراقي للديمقراطية في مدينة أربيل الشمالية. مُهمتّه هي نسج خيوط التغيير الديمقراطي في المجتمع العراقي. "خلال السنوات الثلاثين الأخيرة، كانت كلمة ديمقراطية مُحَرّمة في العراق. ففي كل البرامج الدراسية، عندما تنظر إلى ما يقرأه الطلبة في علم الاجتماع، والتاريخ، والعلوم الاجتماعية، تجد أن كلمة ديمقراطية قد حذفت."

"في نهاية المطاف، نحن أهل العراق، علينا أن نناضل من أجل الديمقراطية."

حسين سنجاري

يشجع المعهد، من أجل المساعدة في فهم ما يمكن أن يقوم به المجتمع المدني، النشاطات على مستوى القاعدة الشعبية مثل "مهرجان الديمقراطية." كما يقوم المعهد أيضاً بتدريب الصحفيين الشباب على التفكير بشكل ناقد، وعلى الكتابة بشكل يعزز النقاش. "ونصدر جريدة الأهالي، الصحيفة المستقلة الليبرالية الوحيدة التي تصدر بالعربية في العراق اليوم." ما معنى أن يكون الإنسان ليبرالياً؟ في رأي سنجاري، "لا تكون ليبرالياً إذا اعتبرت ان كل ما هو قائم مُسلّم به، بل عندما تفكر بصورة ناقدة، بعيداً عن أي أيديولوجيا. جريدة الأهالي صوت جديد لبلد جديد، وطريقة لإلزام أنفسنا بتغيير ثقافة العراق السياسية بحيث لن يكون هناك مزيد من الدكتاتوريين في العراق. في نهاية المطاف، نحن أهل العراق، علينا أن نناضل من أجل الديمقراطية."

أصوات عراقية
من أجل الحرية

فتاة عراقية تشاهد برلمان كردستان العراق، كانون الأول/ديسمبر 2002، في مدينة أربيل
(اسوشييتد برس)

عراقيون في ستوكهولم يتحدون إستفتاء صدام حسين المزور لتمديد ولايته، تشرين الأول/أكتوبر 2002. حملة "لا لصدام" التي نظمّها تحالف المنظمات العراقية المؤيدة للديمقراطية في أوروبا وأميركا الشمالية وشمال العراق أجرت إستفتاءها الخاص على الانترنت والذي رفض حكم صدام بأكثرية ساحقة
(اسوشييتد برس)

نساء عراقيات معارضات لنظام صدام حسين يتحدثن جهاراً في لندن، كانون الأول/ديسمبر 2002
(اسوشييتد برس)

وزارة الخارجية الاميركية
مكتب برامج الإعلام الخارجي
www://usinfo.state.gov